

تجليات المزج التصوري في الخطاب القرآني

م.د. علي محمد نور مجيد
أ.د. هاشم جعفر حسين الموسوي
كلية التربية للعلوم الإنسانية / جامعة بابل

Manifestations of conceptual blending in Quranic discourse

Asst.Dr. Ali Muhammad Nour Majeed

Prof.Dr. Hashem Jaafar Hussein Al-Moussawi

College of Education for Human Sciences

University of Babylon

Email: alimohammednoor99@gmail.com

ملخص البحث

يتواصل الإنسان مع الآخرين، وينجز عمليات ذهنية عدة ؛ لأجل إنجاح هذا التواصل، من بينها عملية المزج التصوري، أو الدمج التصوري، أو نموذج الفضاء المتعدد، وهي عملية تصورية يومية وضرورية لاشتغال الذهن البشري، إذ نستعملها لبناء حقائقنا جميعها بدءاً من الحقائق الاجتماعية وصولاً إلى الحقائق العلمية ؛ لذلك جاءت نظرية المزج لتفسير مجموعة من الظواهر اللغوية التي عجزت نظرية الاستعارة التصورية والفضاءات الذهنية عن تفسيرها، وتسعى هذه النظرية إلى إعادة النظر في بعض العمليات التصورية المنجزة أثناء ممارسة الخطاب، إذ ترى هذه النظرية أنّ بناء المعنى يتضمن دمجاً للبنية التي تؤدي إلى أكثر من مجموع أجزائها، والآلية التي تُسهل ذلك تُعرف بالمزج التصوري.

الكلمات المفتاحية: المزج التصوري، الاستعارة التصورية، الفضاءات الذهنية، فضاء الدخل، الفضاء الجامع الفضاء المزيج، البنية المنبثقة.

Abstract

Man communicates with others and performs several mental processes including the process of conceptual blending conceptual merging or the multiple space model which is a daily and necessary conceptual process for the functioning of the human mind as we use it to build all our facts starting from social facts to scientific facts so the theory of blending came To explain a group of phenomena that the conceptual metaphor theory and mental spaces failed to explain and this theory seeks to reconsider some of the conceptual processes performed during the practice of discourse as this theory considers that the construction of meaning includes an integration of the structure that leads to more than the sum of its parts and the mechanism that facilitates This is known as conceptual blending.

توطئة:

تسعى هذه النظرية للإجابة عن بعض الأسئلة والتي من أهمها ((ما السر الفتان إن لم يكن قدرتها الممغزة على التصرف في النهائي المحدود للتعبير عن اللانهائي المتجدد؟))^(١)، ومنها أيضاً، إنَّ للذاكرة حدودها، فكيف ينجح البشر في تجاوز هذه المعضلة؟ وبتعبير آخر كيف ينجح في تطبيق المثل السائر (لكل مقام مقال)؟ إذ نجد - بحسب رأي فوكوني وتورنر - إنَّ اللجوء إلى المزج التصوري يُعدّ وسيلة الوصول إلى أجوبة مقنعة؛ ذلك لأنَّ المزج ((يمكن من اصطناع قوالب أساسية مكثفة يعاد استعمالها بنشر مكوناتها وإعادة ضمها كلما احتيج إليها في وضعيات التخاطب الفعلية))^(٢).

تعدُّ نظرية الفضاءات الذهنية لـ (جيل فوكوني، وتورنر) مرجعاً لنظرية المزج التصوري (Conceptual Blending Theory)، ولا يُحْفَى أنَّ نظرية المزج لم تنهل من منوال الفضاءات إلَّا بقدر ما نهلت من نظرية الاستعارة التصورية، وعلى وفق ذلك يمكن وصفها بأنها نظرية مزدوجة المعين ثنائية المصدر^(٣)، فقد ارتبطت نظرية المزج بنظرية الفضاءات الذهنية، فضلاً عن أنَّ نظرية المزج تعدُّ تطويراً لنظرية الفضاءات الذهنية ذلك أنَّها وجهت اهتمامها نحو كيفية الجمع بين المعلومات المنتمية إلى فضاءين مختلفين؛ من أجل إنتاج بني تصويرية جديدة غالباً ما تكون مستترة تنبثق من جراء عملية المزج^(٤)، و((تتأسس هذه النظرية على خصيصة لغوية مدارها أنَّ لكل وضعٍ واقعياً كان أم خيالياً سبيلاً إلى استعمال بنية لغوية عنه وعن مجمل أفكارنا عموماً، ويطلق على هذه الخصيصة مصطلح الشمولية))^(٥)، ومن أبرز ما تتجلى فيه تلك الطواعية - بحسب رأي تورنر - ملكة المزج التصوري، وهي ملكة تمكن بني البشر من بناء المعنى في شكل تمازج تصوري، فتظهر نتيجة

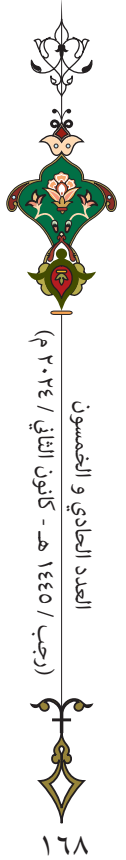
(١) المزج التصوري النظرية وتطبيقاتها في العربية، ٦٣.

(٢) المصدر نفسه، ٦٤.

(٣) See: COGNITIVE LINGUISTICS AN INTRODUCTION Vyvyan Evans and Melanie Green: 400.

(٤) ينظر: المزج التصوري النظرية وتطبيقاتها في العربية، ٤١.

(٥) نظريات لسانية عرفنية، ٢٢٣.



ذلك معانٍ جديدة ومفاهيم جديدة ومناويل ذهنية جديدة^(١).

ويتشكل الفضاء الممزوج بحسب فوكونيني وتورنر من أربعة فضاءات ذهنية: اثنين منها يسميان (فضائي الدخل) يوصلها تخطيط يعكس بنية مشتركة للمدخلين، وفضاء ثالث يسمى (العام)، ثم يظهر فضاء رابع يسمى (الدمج) يتكون من إسقاط اختياري للمدخلين^(٢)، والفضاء الواقعي الذي يُفترض أن يضمهما هو إطار واحد يمكن أن تصوره جملة المعارف المترابطة المنضّدة المحفوظة في النظام الإدراكي^(٣).

مبادئ المزج

استنبط فوكونيني وتورنر بعض القيود الواجب توفرها في عملية المزج، ومنها^(٤):

ربط الفضاءات بعضها ببعض: وجود ترابط جزئي بين الفضاءين الداخلين

الفضاء الجامع: وجود فضاء جامع للفضاءين الداخلين.

الفضاء المزج: وجود فضاء مزج تُسقط فيه المدخلات جزئياً.

البنية المنبثقة: للفضاء المزج بنية منبثقة لم تأت من المدخلات، ويكون ذلك بطرائق ثلاثة

مترابطة هي:

التأليف أو التركيب (composition): في هذه المرحلة تُجمع نظائر الداخلين ويُؤلف

بينهما، فتنشأ نتيجة لذلك علاقات جديدة لم تكن موجود في الداخلين منفصلين^(٥).

التكميل (completion): في هذه المرحلة تُعرّف الأطر الاجتماعية والمناويل العرفانية

والثقافية، إذ يقوم الإكمال على إكساء المعاني، أو التصورات الناشئة جملة من الأبعاد

(١) ينظر: نظريات لسانية عرفنية، ٢٢٣.

(٢) See: THE WAY WE THINK: GILLES FAUCONNIER MARK TURNER:4647

(٣) ينظر: النص والخطاب مباحث لسانية عرفنية، ١٠٢.

(٤) See: THE WAY WE THINK: GILLES FAUCONNIER MARK TURNER: 46-41

and Cognitive Linguistics An Introduction Vyvyan Evans and Melanie Green: p406-403.

(٥) ينظر: نظريات لسانية عرفنية، ٢٣١-٢٣٢، و المزج التصوري النظرية وتطبيقاتها في العربية، ١٠٨

تجليات المزج التصوري في الخطاب القرآني المصباح

تستمد من المعارف العامة المشتركة، ومن التجربة الجماعية المحفوظة في الذاكرة طويلة المدى، والمعارف الخلفية يمكن أن تأخذ شكل معلومات سياقية أو أطر تصورية، والإطار التصوري هو معارف مؤسسة معرفياً مستقرة، ولكنها تقبل التعديل من أجل مشاهد، أو سيناريوهات مخزونة في الذاكرة، فالإطار في تعريفه العام هو بناء خطاطي للتجربة وهو إعطاء بنية للمعارف كما يعرفه فوكونيني وتورنر، إذ إنه لا يتعلق بقائمة من الخصائص بل بالتمثيل الذهني لبنية المقولة التصورية^(١).

البلورة (Elaboration): إن تحقق ما ذكر في الطريقتين (أ) و(ب) من معطيات يمكن للبنية أن تتبلور، وتتكون من طريق محاكاة ذهنية تخيلية وفقاً لمبادئ ومنطق موجودين في الفضاء الممزوج^(٢)، وهي تكشف عما يمكن أن يقود إليه المزيج من معانٍ جديدة لا تتوفر في الفضاءين الدخيلين، بل لا أثر لهما فيهما، وتحيلنا هذه العمليات المتعاقبة على القول بأنّ المزج ((عملية اقتصادية تتوقف حالما تدرك الشبكة التصورية توازناً ما، فكل مزيج يجري إلى غاية يتحقق المطلوب منه ببلوغها))^(٣)، فالمزيج عمل معرفي يُنجز وفق منطق خاص به.

عملية المزج التصوري وأمثلتها في حياتنا في مواقف حياتية

يمكننا ملاحظة نظرية المزج التصوري في مواقف من حياتنا وعلى النحو الآتي:

عملية الخلق والإبداع: يتم في هذه العملية البحث عن الكلمة المناسبة، ويتم هذا بعمليات مزجية يُستعرض فيها كل ما موجود في الذاكرة من ألفاظ تتصل بالمعنى، فيتم اختيار اللفظ المناسب، فيتكون في الذهن اللفظ الجديد حاملاً دلالة جديدة .

العمليات العقلية التي يقوم بها الشخص العادي بصورة يومية : عندما نريد أن نصف شخصاً ما أو شيئاً ما، فإننا نقوم بعملية المزج لإنتاج لفظ نجمع فيه صفات الشخص أو الشيء، ثم نبلورها ونلخصها في شكل كلمة واحدة تصور ذلك .

See: THE WAY WE THINK: GILLES FAUCONNIER MARK TURNER: 41 (١)

(٢) ينظر: الاستعارات في الخطاب الادبي مقارنة معرفية معاصرة، ١٦٣ .

(٣) المزج التصوري النظرية وتطبيقاتها في العربية، ١١١

الخطأ في عملية المزج: قد يخطئ المتكلم في اختيار اللفظ المناسب للتعبير عن المعنى الذي يقصده، فيقول: (لقد خانني التعبير)، فهنا تكون عملية المزج قد فشلت؛ إذ جمع المتكلم بين المعاني المختلفة في ذهنه؛ ليمزج بينها ويخرج بمعنى جديد مناسب لما يتحدث عنه، ولكنه عند اختيار اللفظ المناسب أخطأ، وهنا ندرك وجود هذه العملية (المزج) في أذهاننا، وأثرها ونتائجها برغم أنها لم تنجح في هذه المرة.

عنوانات النصوص: يسعى واضع العنوان إلى جمع كل أفكار النص في كلمة أو أكثر، لذا فهو يقيم عوامل ذهنية مزجية موسعة، يخلط بينها ليخرج بهذا العنوان، كأن يقول شخص: ماذا قال الخطيب؟ فتقول: تكلم على (الصيام أو الصلاة)، فلاحظ أن المتكلم قد مزج بين كلمات الخطبة وأفكارها، ليخرج بهذا العنوان ملخصاً الخطبة في كلمة^(١).

المزج التصوري في الخطاب القرآني

توطئة:

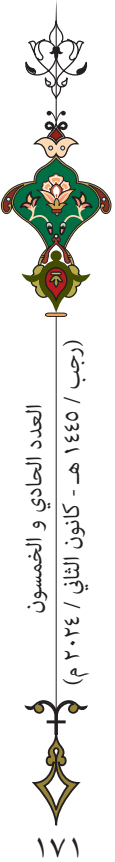
يمكن قراءة الخطاب القرآني قراءة إدراكية ذهنية تعتمد على طريقة المزج التصوري، فالمزج هو نشاط معرفي شائع مثل التشابه والاستعارة، والذي يحدث في المجالات اللفظية والموضوعية، والمجالات الأخرى مثل الدعاية، وكذلك في الاستعارات اللغوية وغير اللغوية، فضلاً عن ذلك أن المزج يقدم نظرة عامة وشاملة يتم فيها تقليل الأمور المعقدة وتقريبها من المعيار البشري.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [سورة البقرة: ٢٢].

إلقاء نظرة فاحصة على هذه الآية وحقيقة التصور الاستعاري يؤدي إلى نظرة جديدة؛ لأن التصور الاستعاري بناءً ذهني يُصور دلالة ما خاصة بشيء للتعبير عن شيء آخر^(٢)،

(١) ينظر: الإشهار القرآني، ٥٠.

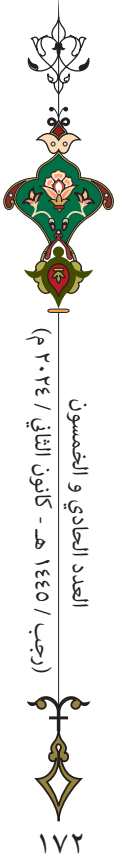
(٢) ينظر: النظرية الإدراكية وأثرها في الدرس البلاغي، الاستعارة أنودجا، ٨٤٩.



تجليات المزج التصوري في الخطاب القرآني المصباح

ولتحقيق هذه النظرة، يجب أن نفكر في فضاءي الدخول من طريق مفهوم الخطاطة؛ باعتبارها البنية المنظمة للصور الذهنية، التي عن طريقها يتم فهم العالم من حولنا بصورة مرتبة، يرى مارك جونسون أن لا وجود للمعنى، ولن يتم إدراكه ما لم يكن للخيال أثر ملحوظ فيه، ولا يمكن للخيال أن يحقق تواضلاً، ما لم يقترن بإدراكنا المتجسد للعالم^(١). فنضع في اعتبارنا فضاء الدخول الأول البيت المغطى بفراش جميل ودقيق تتواجد فيه كل وسائل الاستراحة والاستقرار، وسقف قوي يحميه من الحوادث^(٢)؛ أما فضاء الدخول الآخر فهو الأرض التي توجد فيها النعم الإلهية إذ ((جعلها ملائمة لطباعكم، موافقة لأجسادكم ولم يجعلها شديدة الحماة والحرارة فتحرقكم، ولا شديدة البرودة فتجمدكم، ولا شديدة طيب الريح فتصدع هاماتكم، ولا شديدة التتن فتعطبكم، ولا شديدة اللين كالماء فتغرقكم، ولا شديدة الصلابة فتمتنع عليكم في دوركم وأبنيتكم وقبور موتاكم ليست صلبة ولا خشنة، ولا لينة بكثير، لكنها متوازنة، وفوقها السماء التي هي حامية أهل الأرض))^(٣)، وترتبط العناصر المتمية إلى الدخول الأول بمقابلاتها المتمية إلى الدخول الثاني بوساطة الربط بين الفضاءين، فترتبط الأرض بـ (السماء) والفراش بـ (البناء)^(٤)، ثم يترابط الدخولان بفضاء عام يجمع المشترك بينهما بصيغة أكثر تجريداً يسمى الفضاء الجامع نجد فيه دلالة الاستقرار والحماية^(٥).

وبناءً على عملية التركيب أو التأليف والجمع بين الأرض والفراش تنشأ العلاقة بين الاستقرار والراحة المتمثلة (في الفراش) وبين البركات والنعم الموجودة في (الأرض) لراحة البشر، كما عند الجمع بين السماء والبناء تنشأ العلاقة بين الحماية التي تقدمها السماء الضخمة لسكان الأرض وبين بناء سقف قوي وواقٍ، ففي هذه المرحلة تم الجمع بين نظائر الفضاءين الدخوليين في الفضاء الجامع، فتتج إثر ذلك علاقات جديدة لم تكن موجود



(١) The Body in the Mind; The Bodily Basis of Meaning Imagination and Reason
Mark Johnson: 20-19

(٢) ينظر: التحرير والتنوير، ١ / ٣٣١.

(٣) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ١ / ٨١.

(٤) ينظر: المزج التصوري النظرية وتطبيقاتها في العربية، ١٠٦.

(٥) ينظر: المصدر نفسه، ١٠٧.

في الدخلين منفصلين^(١).

أما في مرحلة التكميل فيتم عرض بنية فضاءات المدخلات بالمعلومات الموجودة في الذاكرة فيكتسي المزيج الناتج من (الأرض فراشا، السماء بناءً)، جملة من الأبعاد تُستمد من المعارف العامة المشتركة^(٢)، فيمكن أن نتصور الأرض كالفراش في الاستقرار والاضطجاع عليها، كما يمكن أن نتصور مفهوم الاعتدال والتناسب في الحرارة، فهي كاليبت الذي تتواجد فيه كل وسائل الاستراحة والاستقرار^(٣)، ولنا أيضا أن نتصور السماء سقفا مرفوعا محكما تفوق قدرة أضخم السقوف يعلو البشر على ظهر هذه الأرض^(٤)، هذه المعلومات في هذه الآية تتمثل في تعدد صنوف نعم الله تعالى ليستدلوا بذلك على وجوب عبادته فإنَّ العبادة إنَّما تجب لأجل النعم المخصوصة^(٥)، أما في مرحلة البلورة يتم دمج فضاءي الإدخال بعد الإسقاط الانتقائي، وعبر محاكاة ذهنية إدراكية وفقا لمبادئ ومنطق موجودين في الفضاء الممزوج، نكتشف عمَّا يمكن أن يقود إليه المزيج من معانٍ جديدة لا تتوفر في الفضاءين الدخلين وبعد الدمج، يظهر فضاء (البنية المنبثقة) تمثل بيئة آمنة وسلمية، ثم مع التوسع الدلالي، وإدراك المفاهيم الأخرى مثل نوع وطريقة إعلان البركات في توسيع معنى جديد يكتمل مفهوم الراحة والرفاهية، ونظراً لوجود مثل هذه الخصائص على الأرض وفي السماء، يتم توفير الراحة والرفاهية لأهل الأرض، فتُظهر هذه المعاني الجديدة قوة ولطف وحنان خالق الأرض والسماء، وكذلك الطبيعة الوجودية للأرض والسماء، التي أعدت للإنسان كسرير هادئ وآمن مع وفرة من البركات.

وبناءً على ما تقدم فإنَّ استعمال المزج في مثل هذه الحالات كعمل من الخيال لفهم الفكرة بطريقة جديدة، بمعنى ((أنَّ الأسس التَّجسُّدِيَّةَ لِحُطَّاطَةِ الصُّورَةِ هِيَ الَّتِي تَجْعَلُنَا

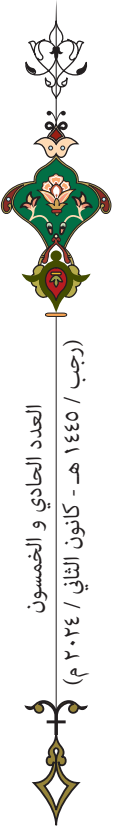
(١) ينظر: نظريات لسانية عرفنية، ٢٣١-٢٣٢، و المزج التصوري النظرية وتطبيقاتها في العربية، ١٠٨

(٢) ينظر: المصدر نفسه، ٢٣٥، والمصدر نفسه، ١٠٩.

(٣) ينظر: التحرير والتنوير، ١/ ٣٣١.

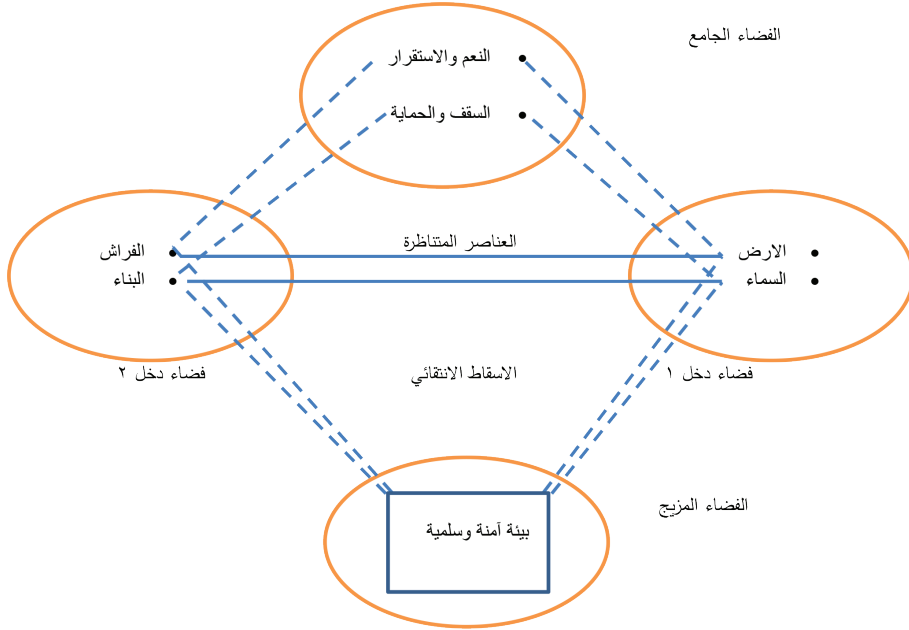
(٤) ينظر: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ١/ ٨٢.

(٥) ينظر: مجمع البيان في تفسير القرآن، ١/ ٨٠.



تجليات المزج التصوري في الخطاب القرآني المصباح

نفهم العالم بصورة منتظمة^(١) عادةً ما يستعمل هذا النوع من المزج لتبسيط الأمور المعقدة وتحويلها إلى أمور مألوفة وملموسة للناس ، والمخطط الآتي يوضح ذلك.



وفي بعض الأحيان هنالك تفسيرات غير عادية وعلى ما يبدو لا تتوافق مع حقائق الوجود، ولكن مثل هذه التفسيرات في القرآن الكريم لا تعني أنها خيالية أو غير دقيقة، ولا يقصد القرآن أن يقود القارئ إلى شيء وهمي، لكن الغرض هو التعبير عن حقيقة مفهومة في العالم المتسامي، وبناءً على ذلك يمكن توظيف المزج التصوري لتحليل مثل هذه الآيات، وعلى سبيل المثال ما نراه في قوله تعالى: وفي بعض الأحيان هنالك تفسيرات غير عادية و على ما يبدو لا تتوافق مع حقائق الوجود، ولكن مثل هذه التفسيرات في القرآن الكريم لا تعني أنها خيالية أو غير دقيقة، ولا يقصد القرآن أن يقود القارئ إلى شيء وهمي، لكن الغرض هو التعبير عن حقيقة مفهومة في العالم المتسامي، وبناءً على ذلك يمكن استخدام المزج المفاهيمي لتحليل مثل هذه الآيات، ومثل هذا النوع من التفسير ما نجده في قوله

(١) دراسات نظرية وتطبيقية في علم الدلالة العرفاني، ٩٢

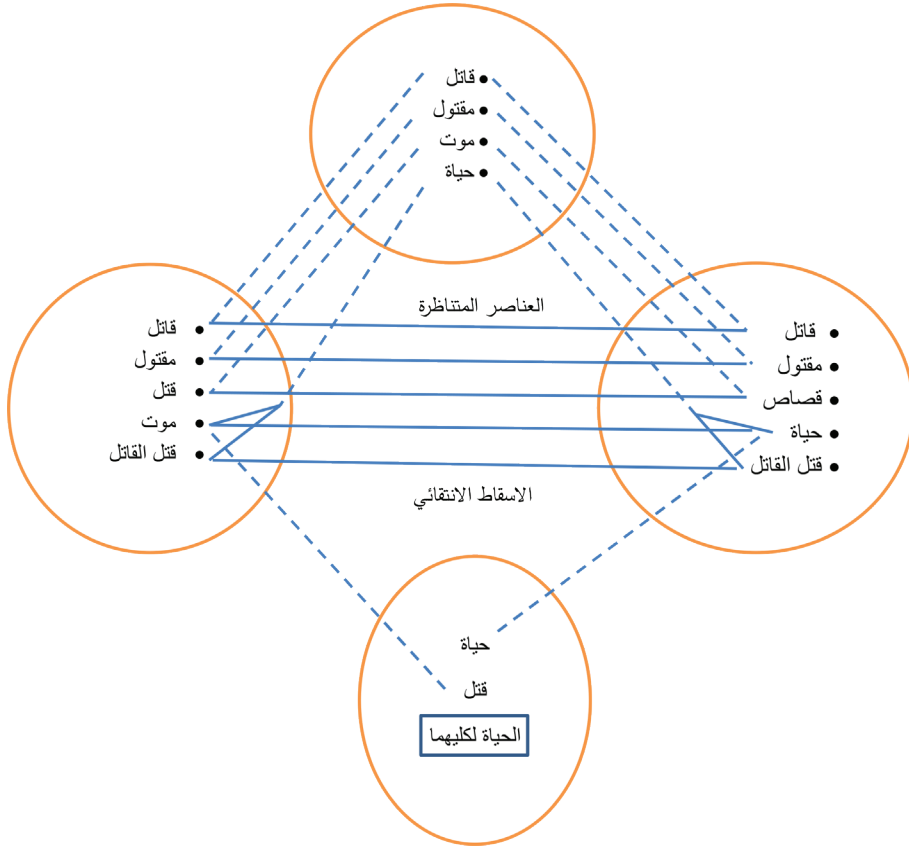
تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [سورة البقرة: ١٧٩]

من الوهلة الأولى يستشعر ضعيف النفس أنّ في هذه الآية نوع من التنافر، والسبب أنّ هذه الآية غير عادية ؛ لأنّه كيف يمكن أن يكون قتل إنسان واهباً للحياة؟ وسبب هذا هو الاختلاف في السببية، مما يعني أنّه ، على عكس الفضاء الممزوج ، فإنّ قتل إنسان يسبب الموت وليس الحياة، وبناءً على نظرية المزج نستحضر فضاءي الدخّل: أحدهما هو فضاء موت الإنسان والآخر هو فضاء موت القاتل. في الفضاء الممزوج موت القاتل يؤدي إلى الحياة، لذا فإنّ قتل القاتل، أو القصاص، هو نافذة على حياة الإنسان فمن جهة، هو الضامن لحياة المجتمع، لأنه إذا لم يكن هناك قصاص إطلاقاً وشعر القاسون بالأمان، فإنّ حياة الأبرياء معرضة للخطر ومن جهة أخرى، فهو سبب حياة القاتل ؛ لأنّه يمنعه من القتل إلى حد كبير ، ومن جهة ثالثة، بسبب الحاجة إلى المساواة، فإنّه يمنع جرائم القتل المتتالية ويضع حدّاً للعادات الجاهلية التي قد تؤدي في بعض الأحيان إلى أنّ قتلا واحداً يسبب عدة جرائم قتل مما يؤدي بدوره إلى المزيد من جرائم القتل، ومن هذا إنّّه طريقة حياة المجتمع^(١)؛ لذا فإنّ معنى الحياة في الفضاء المزيج هو نوع من الحياة بمفهوم مختلف تماماً في الفضاء المزيج، الموت الموجود في فضاء الدخّل الأول، والقصاص الموجود في فضاء الدخّل الثاني الذي يعني القتل، يفقدان معناهما ويجدان معنى جديداً وناشئاً، وفي الفضاء الممزوج، تصبح الحياة مزيجاً من الموت والحياة وكان هذا المزيج غير موجود في المدخلين. تظهر السمة الإيجابية للقصاص إثر توسيع المعنى عبر الاهتمام الدقيق بظروف المجتمع بعد وجوب القصاص الذي يمنع القتل ؛ في الدخّلين يموت كل من القاتل والضحية، ولكن في الفضاء المزج كلاهما يجدان الحياة، يسمى هذا النوع من المزج (المزج الثنائي المدى) (double- scope networks)؛ لأنّ كلا المدخلين لهما تنسيق منفصل، لكن بنية الدمج

(١) ينظر: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ٢ / ٣٤٣.

تجليات المزج التصوري في الخطاب القرآني المصباح

و التكامل تتكون من كليهما^(١)، ويمكن رسم فضاءات هذه الآية على النحو التالي:

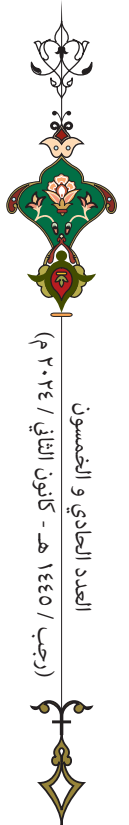


ومن أمثلة ذلك أيضًا قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ أحياءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرَزَقُونَ﴾ [سورة آل عمران: ١٦٩]

إنَّ رؤية هذه الآية تثير سؤالاً في ذهن القارئ: كيف يمكن أن تجتمع الحياة والموت في مكان واحد في الوقت نفسه ، على الرغم من أن اتحاد الاثنين بعيد عن قواعد الوجود؟ وللإجابة عن هذا السؤال يمكن استعمال نظرية المزج التصوري لشرح حقيقة هذه الآية ، ففي هذه الآية لا ينبغي أن يكون معنى (الحياة) هو الحياة الموجودة في العالم ، فهي حياة

(١) Cognitive Linguistics An Introduction Vyvyan Evans and Melanie Green: ٤٢٩.

وينظر: المزج التصوري النظرية وتطبيقاتها في العربية ، ١١٩



عَبْرُ جسمية ولا مادية^(١)، وإلا فإن هذه الحياة لا تتناسب مع الموت، وبحسب نظرية المزج التصوري، هناك فضاءات الدخل، أحدهما هو الفضاء الحقيقي الذي يموت فيه الإنسان ولا يبقى له أثر، والآخر هو الفضاء الذهني الذي يتسبب فيه الموت في حياة أخرى، وعلى وفق ذلك ترتبط مدخلات الفضاء الأول بمدخلات الفضاء الثاني (الموت، الحياة)، (موت الجسد، الحياة الروحية)، ثم إنَّ الجمع بين هذين الفضائين يخلق فضاءً ثالثاً، ففي مرحلة التآليف أو التركيب تجمع نظائر الدخلين وتتآلف^(٢)، وفيها يكون الموت نهاية لحياة مادية وبداية لحياة أخرى، ولكنها ليست الحياة الموجودة في العالم الحقيقي. أما في مرحلة التكميل فيُستكمل الناقص في البنى الجزئية بناءً على ما استقر في الذهن من معارف سابقة^(٣)، وورد في تفسير الأمثل ((المقصود من الحياة في الآية هي (الحياة البرزخية) في عالم ما بعد الموت، لا الحياة الجسمانية والمادية، وإن لم تختص الحياة البرزخية بالشهداء فلكثير من الناس حياة برزخية أيضاً، ولكن حيث إنَّ حياة الشهداء من النمط الرفيع جداً))^(٤)، أما في مرحلة البلورة فيتم التعاطي مع المزيج على أنه وضعية حقيقية متناسبة مع ما تُوفّر في التركيب والتآليف^(٥)، ومع تضافر هذه العمليات الثلاث يتفهم المتلقي جيداً أن معنى هذه الحياة مختلف، فالغرض هو الحياة الروحية والبرزخية، فأجسادهم تتفكك وحياتهم بجسد مثالي، مجردة من المادة ومتناسبة مع هذا الجسد، ومن الطرح السابق يمكن القول: أن في عملية المزج، تسبب فضاءات الدخل، أي الوعي وعدم الوعي، وبفضل آليات الإسقاط الانتقائي يُبنى فضاء المزج، فمن الدخل الأول المعبر واقعياً يسقط عنصر الشهداء، ومن الدخل الثاني يسقط عنصر الحياة الروحية (في البرزخ)، وهكذا تلتقي في فضاء المزج قيمة لا دور لها بدور لا قيمة له^(٦)، فيصير ممكناً في الفضاء المزج أن تملأ القيمة المسقطة من الفضاء

(١) ينظر: التحرير والتنوير، ٥٣/٢.

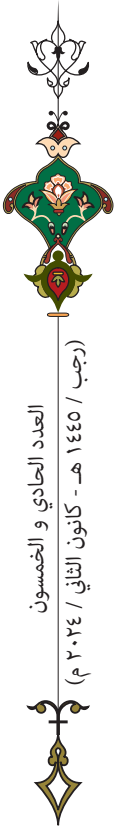
(٢) ينظر: نظريات لسانية عرفية، ٢٣١-٢٣٢، والمزج التصوري النظرية وتطبيقاتها في العربية، ١٠٨.

(٣) ينظر: المزج التصوري النظرية وتطبيقاتها في العربية، ١٠٩.

(٤) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ٤١٤ / ٢.

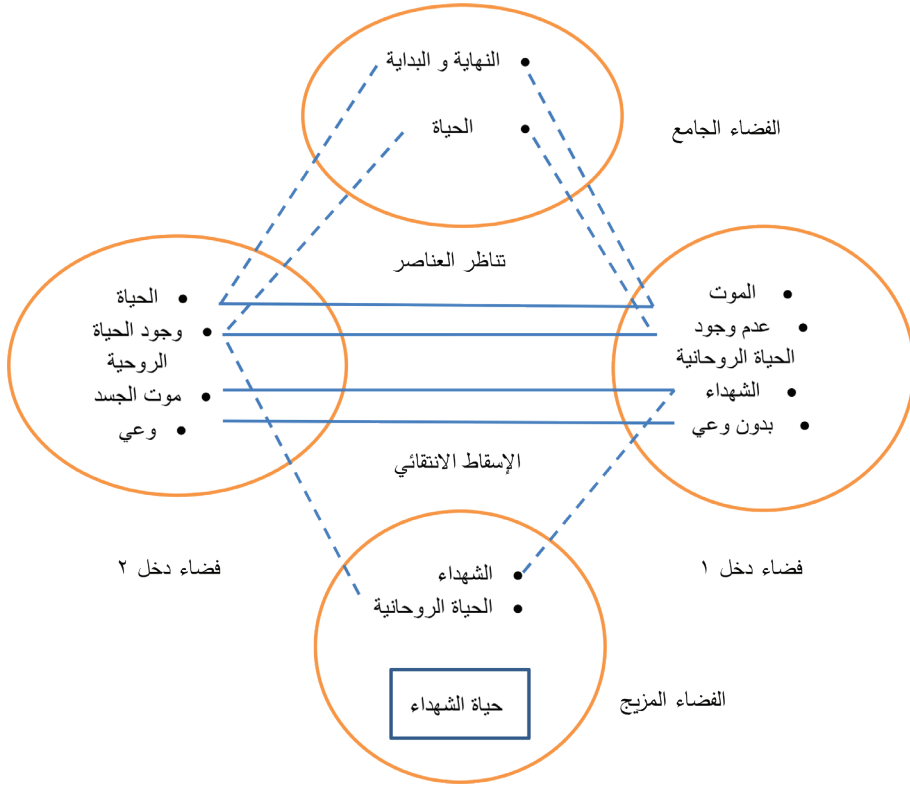
(٥) ينظر: المزج التصوري النظرية وتطبيقاتها في العربية، ١١٠.

(٦) ينظر: المصدر نفسه، ٤٨١.



• تجليات المزج التصوري في الخطاب القرآني المصباح

الأول الدور المسقط من الفضاء الثاني، ومن طريق توسيع معنى الحياة والموت ومواجهة هذين المفهومين مع بعضهما البعض، يتم الحصول على معنى ناشئ جديد (البنية المنبثقة) التي تكتمل بعد أن يُسقط من الدخل الأول أجزاء البنية المتعلقة بحادثة الموت في سبيل الله تعالى، ليجد في المزيج عنصراً يضطلع به وهو عنصر لم يكن له وجود في أي من الفضاءين قبل المزج، ولكنه أضحي بعد المزج شخصية باسم (حياة الشهداء)، وهكذا، يُتخيل الموتى من هم على قيد الحياة وعلى الرغم من عدم وجود حياة مادية لديهم، فإنهم يمتلكون الفهم والوعي أما الفضاءات الأربعة الممزوجة في هذه الآية فهي كالتالي:



وفي بعض الأحيان يمكن استعمال تطبيق المزج في تحليل الآيات الواردة ردًا على المعتقدات الزائفة بدليل قاطع، مثل الآيتين (٩٤ و ٩٥) من سورة البقرة ردًا على تصرفات

اليهود الرعناء الذين اعتقدوا أنّ الجنة خلقت من أجلهم ولا علاقة لنار الجحيم بهم^(١)، ورداً على ذلك يقول الله تعالى: ﴿ قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٩٥﴾ [سورة البقرة: ٩٤، ٩٥].

الفضاء الأول هو الفضاء الذهني لليهود، الذين يعدّون الجنة لهم ففي هذا الفضاء، اليهود أبرياء وبسبب براءتهم لا يخافون الموت ويمكنهم أن يتمنوا الموت في أي لحظة حتى يصلوا إلى أجرهم وهو الجنة^(٢). أمّا في الفضاء الثاني فهو فضاء يكون فيه اليهود مخطئين وكاذبين وبسبب آثامهم لم تُخصّص لهم الجنة ولن يتمنوا الموت أبداً؛ لإثبات زيف هذا الإدعاء، يأتي فضاء معاكس للفضاء الذهني لليهود، مما يثبت أنّ كلام اليهود خاطئ^(٣)، ومن اللافت للنظر هنا أنّ شبكة المزج تضمنت فضاءي دخل متصادمين، وهذا التصادم نتيجة احتواء كل منهما على إطار تصوري يختلف عن الآخر، وهذا ما يسمى بالمزج الثنائي المدى^(٤).

وبناءً على عملية التآليف والجمع بين اليهود وقولهم (الجنة خالصة لهم) تنشأ العلاقة بين تمني الموت وعدم تمنيه^(٥)، أمّا في مرحلة التكميل فتُعرض بنية فضاءات المدخلات الموجودة في الذاكرة طويلة المدى^(٦)، وهذه الفضاءات هي (الكذب، الظلم، عدم الولاية، العدا مع الله تعالى)^(٧)، وأخيراً في مرحلة البلورة ومن مطابقة الفضاءين ومع عدم تحقيق فضاء الدخل الثاني، يُتتهك فضاء الدخل الأول، وخالصة القول في فضاء المزج نحصل على المعنى الجديد (البنية المنبثقة) وهي عدم دقة معتقدات اليهود، فهم ((يعلمون ما في

(١) ينظر: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ١/ ٢٠٩.

(٢) ينظر: مجمع البيان في تفسير القرآن، ١/ ٢٢٤.

(٣) ينظر: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ١/ ٢١٠.

(٤) ينظر: المزج التصوري النظرية وتطبيقاتها في العربية، ١١٩.

(٥) ينظر: نظريات لسانية عرفنية، ٢٣١-٢٣٢، و المزج التصوري النظرية وتطبيقاتها في العربية، ١٠٨.

(٦) ينظر: المزج التصوري النظرية وتطبيقاتها في العربية، ١٠٩.

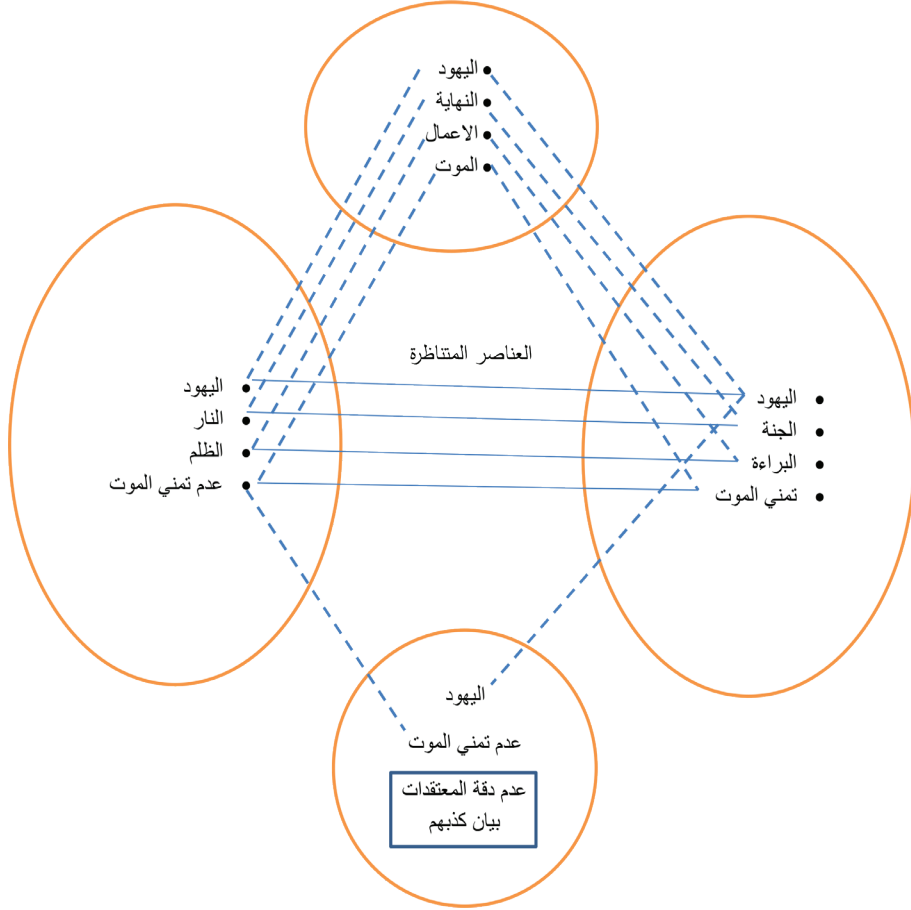
(٧) ينظر: مجمع البيان في تفسير القرآن، ٢/ ٢٢٤.



• تجليات المزج التصوري في الخطاب القرآني المصباح

ملف أعمالهم من وثائق سوداء ومن صحائف إدانة، والله عليهم بكل ذلك، ولذلك فهم لا يتمنون الموت؛ لأنه بداية حياة يحاسبون فيها على كل أعمالهم^(١).

إذاً يمكن تحليل مثل هذه الاحتجاجات في القرآن جيداً في فضاء مزيج، ويمكن رسم أفضية الآية بالمخطط التالي:



وبالاستناد إلى ما سبق، يمكن الاستنتاج بأن عملية الفهم، وبناء المعنى، وتشكيل ملامح الصور الذهنية المقابلة لما عرض تجعل من كل القوى الفكرية آليات كاشفة، ناظمة،

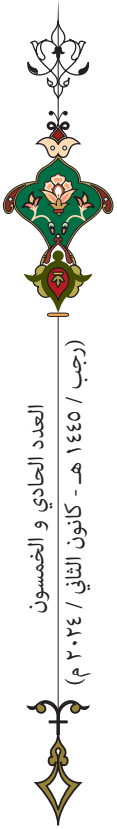
(١) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ١ / ٢١٠.

دالة، فما يختزنُ المتلقِّي في مُعجمه الذَّهنيِّ مع القَبليَّاتِ المعرفيَّةِ ، والقُدرة على الاستدعاءِ لحظة التَّلقيِ ضمن السياقاتِ الخاصَّةِ، والمُفاضلةِ بَيْنَ تلك الاستدعاءاتِ، فضلاً عن القُدرة على تَركيبِ الأُفهامِ، والمعاني وانسجام المُعطياتِ، وربطِ الوحدات اللغويَّةِ ضمن السياقاتِ الخاصَّةِ بما يجعلها محاكية للواقع، ومُناسبة لأن تكون جسراً لسياق الاتصالِ بها يلائم قصدية النص، أو الخطاب وكلها تمثل آليَّاتِ بنائيةِ تواصلية إدراكيَّة.

ومن ذلك أيضاً برهان الله في نقضه الادعاءات الكاذبة ، بنسبة الولد إليه، فعدّوا العزيز والمسيح ابنين لله، فحالُه كحال البشر من هذه الجهة على الرغم من محدودية وجودهم^(١)، فيجيبهم الله تعالى بقوله: ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَّهُ قَانِتُونَ ﴾ [سورة البقرة: ١١٦] هناك حجتان في الجواب الذي يقدمه الله لهما، الحجة الأولى: إنَّ اتخاذه الولد هو أن يجزي موجود طبيعي بعض أجزاء وجوده، ويفصله عن نفسه فيصيره تربية تدريجية فرداً من نوعه مماثلاً لنفسه ، وهو سبحانه منزّه عن المثل، وأنّه خالٍ من الأمثال بل له كل شيء في السماء والأرض، وكل شيء محتاج إليه في وجوده ذليل أمامه. والغرض من الإذلال أمامه أنّ وجوده مثل الذل، فكيف يمكن أن يكون مخلوق من المخلوقات ولده، ومثلاً له؟ أمّا الحجة الثانية فإنَّ الله تعالى هو المبتدع والخالق بدون نموذج للسموات والأرض ويخلق ما خلقه بغير النموذج، لذلك لم يكن لأي من مخلوقاته نمط سابق، ولا يشبه فعله فعل غيره في التقليد والتشبيه ولا في التدرّج، والتوصل بالأسباب إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون من غير مثال سابق ولا تدرّج، فكيف يمكن أن ينسب إليه اتخاذه الولد؟ وتحققه يحتاج إلى تربية وتدرّج، فقولُه: له ما في السموات والأرض كل له قانتون برهان تام، وقوله: بديع السموات والأرض إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون برهان آخر تام^(٢)، هذا فضاء الدخول الأول، هو فضاء الإنسان وولده، وهذا لا يجوز على الله تعالى بأي وجه من الوجوه؛ لأنّه إذا كان جميع ما في السموات والأرض ملكاً لله، والولد لا يكون ملكاً للأب؛ لأنَّ البنوة و الملك لا يجتمعان، فكيف يكون لله تعالى ولد، فنبه بذلك

(١) ينظر: روح المعاني، ١ / ٣٦٤.

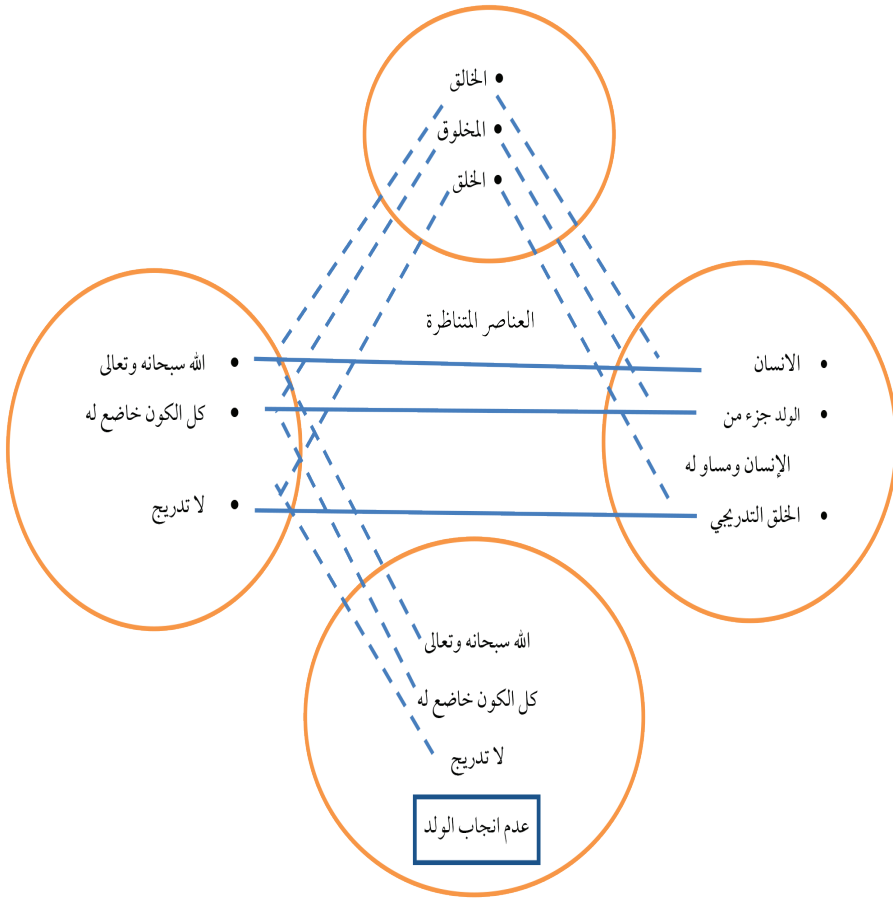
(٢) ينظر: الميزان في تفسير القرآن، ١ / ٢٥٧.



تجليات المزج التصوري في الخطاب القرآني المصباح

على أن الجميع مخلوقون ومملوكون، ولا نظير له تعالى بأي وجه من الوجوه (تعالى الله) عن صفات المخلوقين^(١).

الفضاء الثاني هو قدرة الله تعالى وعلاقة الكون به، وفي الفضاء الممزوج يرتسم المعنى الحقيقي فالعلاقة بين هذين الفضاءين هي من نوع الاختلاف وعدم المشابهة، هذه الأنواع من الدمج هي شبكات أحادية الاتجاه (Simplex networks) حيث لا يحتوي فضاء الدمج على بنية أي من المدخلات والفضاء الممزوج هي نتيجة التناظر بين فضاءي المدخل، ويمكن توضيح الفضاءات في المخطط الآتي:



(١) ينظر: مجمع البيان في تفسير القرآن، ١ / ٢٥٦.

وفي بعض الأحيان تكون العلاقة بين فضاءي الدخل مشابهة لجانب واحد من الجوانب الموجودة بين فضاءي الدخل. على سبيل المثال، في الآية التالية عن كفر بني إسرائيل وانحرافهم عن خط التوحيد^(١)، ورد حالاتهم بعد غضب الله تعالى على النحو الآتي:

﴿ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ وَالْمُسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾ [سورة البقرة، من الآية: ٦١].

إنّ فضاء الدخل الأول هو غضب الله الذي تسبب في إذلالهم بسبب كفرهم بآيات الله، وانحرافهم عن خط التوحيد، ولقتلهم الأنبياء بغير حق^(٢).

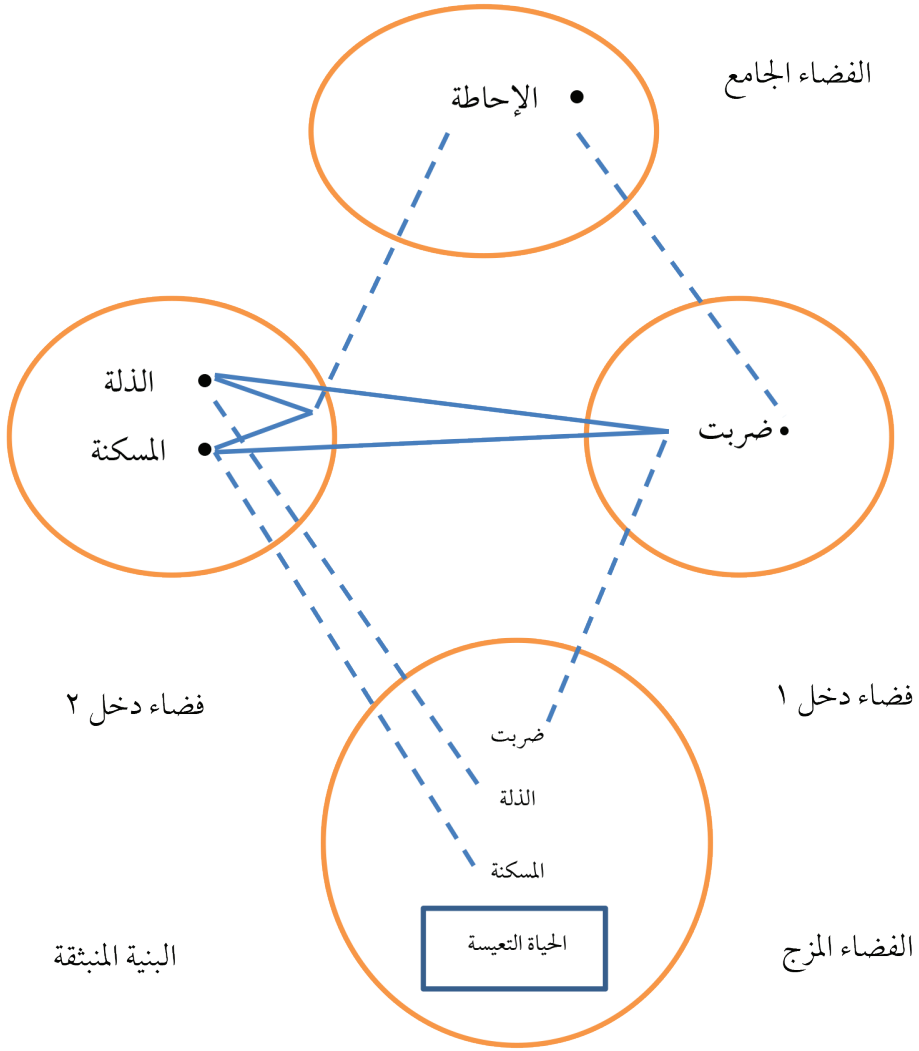
أمّا الدخل الآخر فعبارة عن أشخاص يعيشون تحت قبة وتحيط بهم تلك القبة، فالتصور الاستعاري ينطبع في الذهن البشري وفق الاتجاهات والأبعاد المحسوسة فتصبح الاستعارات بذلك نوعاً من الاسترسال الدلالي^(٣)، جاء في التفسير ((ففي الكلام استعارة بالكناية حيث شبه ذلك بالقبة أو بالطين، وُضِرِبَتْ استعارة تبعية تحقيقية لمعنى الإحاطة والشمول أو اللزوم واللتصوق بهم، وعلى الوجهين فالكلام كناية عن كونهم أذلاء متصاغرين))^(٤)، في الفضاء الممزوج، استوعب الإذلال والاحتقار بني إسرائيل بشكل شامل مستوعب، إذًا تحقّق من مزج هذه الفضاءات شمولية الذل وتفشييه.

(١) ينظر: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ١ / ١٧٣.

(٢) ينظر: المصدر نفسه، ١ / ١٧٣.

(٣) ينظر: النظرية الإدراكية وأثرها في الدرس البلاغي، ٨٥١.

(٤) روح المعاني، ١ / ٢٧٦.

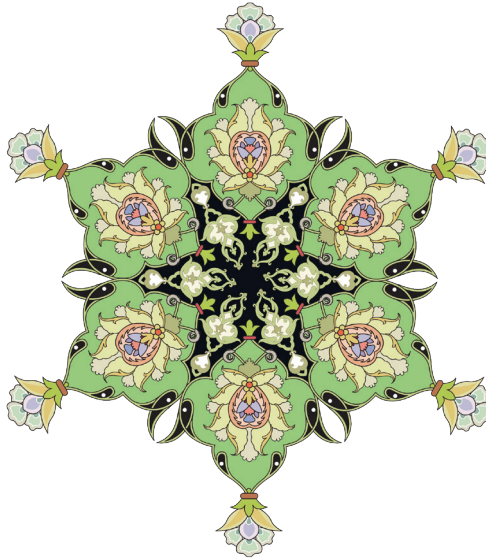


الخاتمة:

من منظور دلالي معرفي واستنادًا إلى المفاهيم الموضوعية في بنية القرآن الدلالية، نجد أنّ تطبيق نظرية المزج يمكن أن يكون مفيدًا في شرح بناء المفاهيم في الخطاب القرآني، في حين أنّ طريقة التصور هذه متجذرة في العلاقة بين اللغة والذهن.

إنّ بناء الفضاء الذهني وفهم آليات اشتغاله ينبغي ألاّ تخلو منه دراسة تبحث وتنقب عن مخفيات المعاني.

على الباحثين المحدثين دراسة النص القرآني في ضوء الدراسة الدلالية الإدراكية الحديثة؛ فهي تعمل على فتح أبواب جديدة لفهم هذا النص المعجز المقدس.



المصادر والمراجع

١. الاستعارات في الخطاب الادبي مقارنة معرفية معاصرة .
٢. الإشهار القرآني والمعنى العرفاني في ضوء النظرية العرفانية والمزج المفهومي والتداولية سورة يوسف نموذجاً، عطية سليمان أحمد، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة، مصر، (د.ط)، ٢٠١٤م.
٣. الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ناصر مكارم الشيرازي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت- لبنان، ط١، ١٤٣٤هـ، ٢٠١٣م.
٤. التحرير والتنوير ((تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد))، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت: ١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤هـ.
٥. دراسات نظرية وتطبيقية في علم الدلالة العرفاني، محمد الصالح ابو عمراني، مكتبة علاء الدين - صفاقس، دار نهى - صفاقس، تونس، ط١، ٢٠٠٩.
٦. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألويسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ)، تحقيق علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.
٧. مجمع البيان في تفسير القرآن، أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي (ت: ٥٤٨هـ)، دار العلوم، بيروت، ط١، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
٨. المزج التصوري النظرية وتطبيقاتها في العربية، أميرة غنيم، مسكيلاني للنشر والتوزيع، تونس، ط١، ٢٠١٩.
٩. الميزان في تفسير القرآن، العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي (ت: ١٤٠٢هـ)، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان، ط١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

١٠. النص والخطاب مباحث لسانية عرفنية، الأزهر الزناد، دار نيور للطباعة والنشر والتوزيع، العراق - ديوانية، ط ١، ٢٠١٤.

١١. نظريات لسانية عرفنية، الدار العربية للعلوم، دار محمد علي للنشر، منشورات الاختلاف، (د.ط)، (د.ت).

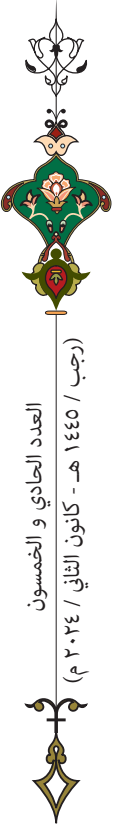
١٢. النظرية الإدراكية وأثرها في الدرس البلاغي "الاستعارة نموذجاً"، صالح عبد الهادي رمضان، ندوة الدراسات البلاغية - الواقع والمأمول، الرياض - السعودية، ١٤٣٢هـ.

المصادر الأجنبية

١. The Body in the Mind; The Bodily Basis of Meaning Imagination and Reason Mark Johnson The University of Chicago Press Chicago and London.

٢. THE WAY WE THINK Conceptual Blending and the Mind's Hidden Complexities GILLES FAUCONNIER MARK TURNER 2002 A Member of the Perseus Books Group.

٣. Cognitive Linguistics An Introduction Vyvan Evans and Melanie Green EDINBURGH UNIVERSITY PRESS 2006.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَلَسَوْفَ نَحْصِيحِكُمْ